مركز المخطوطات والتراث والوثائق

مخطوطة

فصل يتعلق بأصل الأصول

المؤلف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (بن تيمية)

44818/3

٤٤١٨/٣
فصل يتعلم
بأصل
الأصول
مصر

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

قال الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن شيخ الاسلام شهاب الدين ابي المحاسن عبد الحليم بن شيخ الاسلام مجد الدين ابي البركات عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن محمد بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني رحمه الله ونور ضريحه وهو مما سمعته بقلعة دمشق متأخرا

فصل في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين اصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله فان هذا الاصل هو اصل اصول العلم والايمان وكل من كان اعظم اعتصاما بهذا الاصل كان اولى بالحق علما وعملا ومن كان اعظم اعراضا عن الحق علما وعملا كالقرامطة والمتفلسفة الذين يزعمون ان الرسل انما كانوا يعلمون حقايق العلوم الالهية والكلية وانما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون خاصة النبوة هي التخييل ويجعلون النبوة افضل من غيرها عند الجمهور لا عند اهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وامثاله مثل مبشر بن فاتك وامثاله من الاسماعيلية واخرون يعترفون بان الرسول علم الحقايق لكن يقولون لم يبينها لكن بل خاطب الجمهور بالتخييل فيجعلون التخييل في خطابه لا في علمه كما يقول ذلك ابن سينا وامثاله واخرون يعترفون بان الرسول علم الحق وبينه لكن يقولون لا يمكن معرفة من كلامهم بل يعرف بطريق اخر اما المعقول عند طايفة واما الكشف عند طايفة اما قياس فلسفي واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما ان يفوض واما ان يؤول وهذه طريقة كثير من اهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون في التاويل وابو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التاويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتى اخطؤا وان الحق بين جمهور الخيالية وبين ضلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في قلبك ثم ينظر في السمع فما وافق ذلك قبلته والا فلا كان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خيار الفلاسفة وهم الذين يعظمون

الرسول

الرسول عن ان يكذب للمصلحة ولكن هو لا وقعوا في نظير ما فروا منه نسبوه الى التلبيس والتعمية واضلال الخلق بل الى ان يظهر الباطل ويكتم الحق وابن سينا وامثاله لما عرفوا ان كلام الرسول لا يحتمل هذه التاويلات الفاسدة بل قد عرفوا انه اراد مفهوم الخطاب سلك مسلك التخييل وقال انه خاطب الجمهور بما يخيل اليهم مع علمه ان الحق في نفس الامر ليس كذلك فهؤلا يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق ابن رشد الحفيد وامثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من هؤلا عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين اقروا بانهم بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما اهل العلم والايمان فمتفقون على ان الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع علمهم بان علم الخلق بالحق قليل وانهم الصادقون المصدقون علموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا للمصلحة فهم من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما راى ما عملوا من الخير والعدل في العالم لم يمكنه ان يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصلحة الخلق كما يحكى عن ابن التومرت وامثاله ولهذا كان هؤلا لا يفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والافعالهما خوارق هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصلحة اذ لم يمكنه اقامة العدل فيهم الا بنوع من الكذب والذين علموا ان النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لا يكون الا صادقا من هؤلا قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو انهم قالوا سكتوا عن بيان ذلك كان اقل الحاد لكن قالوا انهم اخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان الحق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعاريض الذي يجوز بها المتكلم معنى صحيحا لكن لا يفهم السامع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان اقل الحاد ممن قال انهم قصدوا الكذب والتعريض

يعني هم

الرقم:
التاريخ:
تليفون ٥٣٢٠٩٠٠

من وقوع الكذب اذا كان كذبا في الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وهي معاريض لقوله عن سارة انها اختي اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهي وهو لا يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء اخبروا به عن الغيب كذب من المعاريض واما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان دون التعريض لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم ما يدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الاعراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا اصول الدين بل ولا الرسول اما لاشتغالهم بالجهاد او لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع وبين ان اصول الدين الحق الذي انزل الله به كتابه وارسل به رسوله وهي الادلة والبراهين والايات الدالة على ذلك قد بينها الرسول احسن بيان وانه دل الناس وهداهم الى الادلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الالهية بها يعلمون اثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالادلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالادلة العقلية وان كان لا يحتاج اليها فان كثيرا من الامور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الادلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقين السمعي والعقلي وبينا ان دلالة الكتاب والسنة على اصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من اهل الكلام والحديث والفقه والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دل الخلق وهداهم الى الايات والبراهين والادلة المبينة لاصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين اعرضوا عما في القرآن من الدلايل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذا صنفوا في اصول الدين احزابا يحزبا يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل وانه علم وان النظر يوجب العلم وانه واجب ويتكلمون في جنس

النظر

النظر وجنس الدليل وجنس العلم قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الى ما هو الاصل والدليل للذين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل والحزب الثاني عرفوا ان هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالفة للكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الاخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية فصنفوا كتبا قد مواقبحها بادلة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا اشياء صحيحة لكنهم قد يخلطون الاثار صحيحها بضعيفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وايضا فانهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لا من جهة دلالته فلا يذكرون ما فيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد وانه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سموا كتبهم اصول السنة والشريعة ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد استقر فلا يحتاج ان يبين الادلة الدالة عليه فذمهم اولئك ونسبوهم الى الجهل اذ لم يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون اولئك الى البدعة بل الى الكفر لكونهم اصلوا اصولا يخالفون ما قاله الرسول والطايفتان يلحقها اللوم لكونهما اعرضت عن الاصول التي بينها الله بكتابه فانها اصول الدين وادلته وايات فلما اعرض عنها الطايفتان وقع بينهم العداوة كما قال الله تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وحزبا ثالثا قد عرف تفريط هؤلاء وتعدي اولئك وبدعتهم فذمهم وذم طالب العلم الذكي الذي اشتاقت نفسه الى معرفة الادلة والخروج عن التقليد اذا سلك طريقهم وان طريقهم ضالة وان السلف لم يسلكوها ونحو ذلك بما يقتضي ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على امر مجمل لا يتبين دلالته على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه بدعة ولا يفتح ابواب الادلة

التي ذكرها الله في القران التي تبين ما جاء به الرسول حق ويخرج الذكي بمعرفتها
عن التقليد وعن الضلال والبدعة والجهل فمهولا اضل فريقهم انهم لم يتدبروا القران
واعرضوا عن ايات الله التي بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن ايات الله من
المخلوقة قال الله تعالى وكم من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون وقال تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون وقال
تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين
هم عن اياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون وقال تعالى
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
وقال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ومثل هذا كثير لبسطه مواضع
اخر والمقصود ان هولاء الغالطين الذين اعرضوا عما في القران من الدلايل
العقلية والبراهين اليقينية لا يذكرون النظر والدليل والعلم الذي جاء به
الرسول والقران عملوا من ذلك والمتعمقون من المتكلمون يعترفون بان
في القران من الادلة العقلية الدالة على اصول الدين ما فيه لكنهم يسلكون
طرقا اخر لطريق الاعراض ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم
الخليل وهو غالط والمتفلسفة يقولون القران جاء بالطريق الخطابية
والمقدمات الاقناعية التي يقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين
جاءوا بالطرق الجدلية ويدعون انهم هم اهل البرهان اليقيني وهم
وهم ابعد عن البرهان في الالاهيات من المتكلمين والمتكلمون اعلم
اعلم منهم بالعلميات البرهانية في الالاهيات والكليات ولكن للمتفلسفة
في الطبيعيات خوض وتفصيل عيز وابها به بخلاف الالاهيات فانهم
من اجهل الناس بها وابعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو واعلمهم
فيها قليل كثير الخطا فهو لهم جماعة على راس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا

سمين فيقال وهذا مبسوط في غير هذا الموضع والقران جاء بالبينات
والهدى بالايات البينات وهي الدلايل اليقينيات وقد قال الله تعالى
لرسوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي احسن والمتفلسفة يقرون ذلك بطرقهم المنطقية في البرهان
والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت في غير هذا
الموضع بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به فالقلوب التي لها فهم وقصد
تدعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فيقبله ويعمل به واخرون هم
يعترفون بالحق لكن لهم اهواء تصدهم عن اتباعه فهولا يدعون
بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من
الباطل والوعظ امر ونهي بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به وقال تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا فالدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه
يجادل بالتي هي احسن والقران مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل
يسال ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن احدان
يجحدها لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بانكار الباطل كما في مثل
قوله ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون وقوله افعيينا بالخلق
الاول بل هم في لبس من خلق جديد وقوله اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق المونى وقوله اليحسب الا
نسان ان يترك سدا المريك هطا نطفة من مني تمنى ثم كان علقة
فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر
على ان يحيي المونى وقوله افرايتم ما تمنون اانتم تخلقونه ام نحن الخا
لقون وقوله وقالوا لولا يانينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما
الصحف الاولى وقوله اولم يكفهم انا انزلنا اليك عليك الكتاب
يتلى عليهم وقوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه علما بنو اسرايل وقوله
الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين الى امثال

يحيي هو

ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات
البرهانية التي تدل على المطلوب فهو من احسن الجدل بالبرهان فان الجدل
انما يشترط فيه ان يسلم الخصم المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة
معروفة كانت برهانية والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم
الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية عند اهل المنطق بل بالقضايا والمقدمات
التي يسلمها الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها
ذكر الدليل على صحتها لقوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فان الخطاب لما كان
مع من يقر بنبوة موسى من اهل الكتاب ومع من ينكرها من المشركين
ذكر ذلك بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وقد بين
البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرا
ببدونها كابن كثير وابي عمر وجعلوا الخطاب مع المشركين وجعلوا
قوله وعلمتم ما لم تعلموا احتجاجا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة
على اوليك بنبوة موسى وعلى هؤلاء بنبوة محمد ولكل منهما من البرا
هين ما قد بين بعضه في غير موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو
خطاب لاهل الكتاب وقوله علمتم ما لم تعلموا بيان لما جاءت به الانبيا
مما انكروه فعلمهم الانبيا ما لم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما عرفوه
من اخبار الانبيا وما لم يعرفوه وقد قص سبحانه قصة موسى واظهر
براهين موسى وايانه التي هي من اظهر البراهين والادلة حتى اعترف
بها السحرة التي جمعهم فرعون وناهيك بذلك فلما اظهر الله حق
موسى واتى بالايات التي علم بالاضطرار انها من الله وابتلعت
عصا الحبال والعصى التي اتى بها السحرة بعد انجاوا بسحر عظيم وسحروا
اعين الناس واسترهبوا الناس ثم لما اظهر الحق وانقلبوا صاغرين

قالوا

قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون فقال لهم فرعون امنتم به قبل ان
اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا
وابقى قالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات الذي فطرنا وهو خالقنا
ودينا الذي لا بد لنا منه لن نوثرك على هذه الدلايل اليقينية وعلى
خالق البرية فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى وقد ذكر الله
هذه القصة في عدة من المواضع مواضع من القران يبين في كل موضع
منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الاخر كما يسمي الله ورسوله
وكتابه باسما متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الاخر وليس في
هذا تكرير بل فيه تنويع الايات مثل اسما النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل
محمد واحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة
في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الاخر وان كان الذات واحدة فا
لصفات متنوعة وكذلك القران اذا قيل فيه انه قران وفرقان وبيان
وهدى وبصاير وشفا ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى
ليس هو المعنى الاخر وكذلك الرب تعالى اذا قيل الملك القدوس السلام
المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم
يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الاخر فالذات واحدة و
الصفات متعددة فهذا في الاسما المفردة كذلك في الجمل التامة يعبر
عن القضية بجمل يدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل اخرى تدل على
معان اخر وان كانت القضية المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة
ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الاخر وليس في القران تكرار اصلا
واما ما ذكره بعض الناس من ان تكرر القصص مع الاكتفا بالواحدة وكانت
الحكمة فيه ان وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقرا لهم المسلمون شيا من القران فيكون ذلك كافيا وكما يبعث الى القبايل

اسما ٥

من المكتبة الشخصية للعلامة الشيخ عبد الله بن بيه

في القصص المتفرقة لتعدد المختلفة فلو لم تكن الايات والقصص مشاة مكررة
لوقعت قصت موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله
ان يشهر هذه القصص في اطراف الارض وان يلقيها الى كل سمع فهذا كلام
من لم يقدر القران قدره وابو الفرج اقتصر على هذا الجواب في قوله مثاني
لما قيل لم يثبت وبسط هذا الموضع اخرفان التثنية هو التنويع و
التجنيس وهي ايضا الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام
والامثال والمقصود هنا التنبيه على ان القران اشتمل على اصول الدين
التي تستحق هذا الاسم وعلى البراهين والايات والادلة اليقينية بخلاف
ما احدثه المبتدعون والملحدون كما قال الرازي مع خبرته بطرق هؤلا
لقد تاملت الطرق الكلاميه والمناهج الفلسفيه فما وجدتها تشفي عليلا
ولا تروي غليلا ورايت اقرب الطرق طريقة القران في الاثبات اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح الرحمن على العرش استوى واقرا في
النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف
مثل معرفتي والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين في العلم
النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بافضل ذلك وهو الهدى
ودين الحق كما قال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار فذكر النوعين قال الوالبي
عن ابن عباس يقول اولوا القوة في العبادة قال ابن ابي حاتم وروي عن
سعيد بن جبير وعطا الخراساني والحسن والضحاك والسدي وقتادة
وابي سنان ومشر بن عبيد نحو ذلك والابصار قال الابصار الفقه
في الدين وقال مجاهد الابصار الصواب في الحكم وعن سعيد بن
جبير قال البصيرة في دين الله وكذا به وعن عطا الخراساني اولي الايدي
والابصار قال اولوا القوة في العبادة والبصر والعلم بامر الله وعن مجا
هد وروي عن قتادة قال اعطوا قوة في العبادة وفقها في الدين

وجميع

وجميع حكما الامم يفضلون هذين النوعين مثل حكما اليونان والهند والفرد
قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل الصالح هو عبادة الله
وحده لا شريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم والهدى هو تصديق
الرسول فيما اخبر به عن الله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
وغير ذلك فالعلم النافع هو الايمان والعمل الصالح هو الاسلام العلم
النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل بامر الله هذا تصديق الرسول
فيما اخبر وهذا طاعته في امر وضد الاول ان يقول على الله ما لا
يعلم وضد الثاني ان يشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا والاول اشرف
فكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا قالت الاعراب امنا قل لن تومنوا
ولكن قولوا اسلمنا وجميع الطوائف تفضل هذين النوعين لكن الذي
جاء به الرسول هو افضل ما فيهما كما قال ان هذا القران يهدي للتي هي
اقوم وبهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في ركعتي الفجر تارة سورة
الاخلاص وقل يا ايها الكافرون عبادة الله وحده وهو دين الاسلام
وفي قل هو الله احد صفة الرحمن وان يقال قيهما ويخبر عنه بما يستحقه
وهو الايمان هذا هو التوحيد القولي وذلك هو التوحيد العلمي
وكان تارة يقرا فيهما يقرا في الاولى بقوله في البقرة قولوا امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم ونحن له مسلمون وفي الثانية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
قال ابو العالية في قوله فلنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال خلتان
يسال عنهما كل احد ماذا كنت تعبد وماذا اجبت المرسلين فالاول
تحقيق شهادة ان لا اله الا الله والثاني تحقيق الشهادة بان محمدا
رسول الله والصوفية بنوا امرهم على الارادة ولا بد منها لكن هذه
شرط ان تكون ارادة عبادة الله وحده بما امر والمتكلمون بنوا امرهم

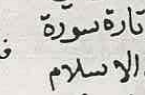

من النظر المفضي للعلم ولا بد منه لكن بشرط ان يكون على ما اخبر به الرسول
والنظر في الادلة التي دل بها الرسول وهي آيات الله ولا بد من هذا وهذا
بدون اتباع الرسول فيها فهو ضال كما قال من قال من السلف الدين والايمان
قول وعمل واتباع السنة واهل الفقه في الاعمال الظاهرة يتكلمون في العبادات
الظاهرة واهل التصوف والزهد يتكلمون في قصد الانسان وارادته
واهل النظر والكلام واهل العقايد من اهل الحديث وغيرهم يتكلمون في
العلم والمعرفة والتصديق الذي هو اصل الارادة ويقولون العبادة لا بد
فيها من القصد والقصد لا يصح الا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا
صحيح فلا بد من معرفة المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين
والنصارى وامثالهم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله او بغير
امر الله او بغير امر الله وانما القصد والارادة النافعة هو ارادة عبادة
الله وحده وهو انما يعبد بما شرع لا بالبدع وعلى هذين الاصلين يدور
دين الاسلام على ان يعبد الله وحده وان يعبده بما شرع لا يعبده بالبدع
واما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها على ان يعرف ما اخبر به الرسول
ويعرف ان ما اخبر به حق اما العلم بانه لا يقول الا حقا وهذا تصديق
عام واما العلم بان ذلك الخبر حق بما اظهره الله من آياته صدقه
فانه انزل الكتاب والميزان واراد الناس ايانه في الآفاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم ان القرآن حق فصل واما العلميات وما
سميه الناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول احسن بيان
فما بين كما امر الله به او نهى عنه او حلله او حرمه الا بين ذلك وقد
قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقال تعالى ما كان حديثا يفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يوقنون
وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين وقال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

وقال

وقال تعالى تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وقال وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله
ربي عليه توكلت واليه انيب وقال تعالى وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون قد بين للمسلمين جميع ما يتقونه
كما قال وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وقال تعالى
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله
وقوله ﷺ الى سنة الرسول بعد موته فان تنازعتم بشرط او الفعل نكرة في سياق
الشرط فاي شيء تنازعوا فيه رددوه الى الله والرسول فانزل الله عليه الكتاب
والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم امته الكتاب والحكمة كما قال
تعالى ويعلمهم الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة كما قال
تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من
آيات الله والحكمة فآيات الله هي القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على
الله منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير
واحد من السلف هي السنة وقال ايضا طائفة كمالك وغيره هي معرفة
الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهي تتضمن التمييز بين المامور
والمحظور والحق والباطل وتعليم العلم بالحق دون الباطل وهذه
السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة
والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على
البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه
في الكتب التي يذكر فيها هذه الآثار كما يذكر مثل ذلك غير واحد
فيما يصنفونه في السنة مثل ابن بطة واللالكائي والطلمنكي وقبلهم المصنفون
في السنة كاصحاب احمد مثل عبد الله والاثرم وحرب الكرماني
وغيرهم ومثل الخلال وغيره والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب

٢ وهذا وجه رفعه لقوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب وقالوا انما انزل عليه بين سبحانه انما انزل الكتاب الا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين انه انزل الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ص

ولو لم يكن بيان الله والرسول فاصلا للنزاع لم يومروا بالرد اليه والرسول ص

والسنة وافيان بجميع امور الدين واما اجماع الامة فهو في نفسه حق لا تجتمع
الامة عن ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسله بالعدل
وانزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل ومايعرف به العدل
وقد فسروا انزال ذلك بان المراد معرفة ذلك والله ورسوله يسوي بين
المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب
الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهي الامثال المضروبة
مابينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق النص فان الميزان يطابق
الكتاب والله امر نبيه ان يحكم بما انزل وامره ان يحكم بالعدل فهو
انزل الكتاب واما انزل الكتاب بالعدل قال تعالى وان احكم بينهم بما
انزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الامة فهو حق
لا تجتمع الامة والله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك في الكتاب
في الكتاب والسنة فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بانهم
يامرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك في قوله
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين في قوله والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت
الامة في الدين بما هو ضلال لكانت قد امرت بالمعروف في ذلك
ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والوسط
العدل الخيار وقد جعلهم الله شهداء على الناس واقام شهادتهم مقام
شهادة الرسول وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر عليه بجنازة فاثنوا عليها خيرا فقال وجبت ثم مر عليه بجنازة فاثنوا
عليها شرا فقال وجبت قالوا يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت
قال هذه الجنازة اثنيتم عليها خيرا فقلت وجبت لها الجنة

وجبت ح

وهذه

وهذه الجنازة اثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار انتم شهداء الله في الا
رض فاذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فاذا شهدوا ان
الله امر بشيء فقد امر به واذا شهدوا ان الله نهى عن شيء فقد نهى
عنه ولو كانوا يشهدون بباطل او خطأ لم يكونوا شهداء الله في الارض
بل شهادتهم كشهادة الانبياء في مايبلغون عنه وقال تعالى
واتبع سبيل من اناب الي والامة منيبة الى الله فيجب اتباع سبلها
وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عمن اتبع السابقين
الى يوم القيامة فدل على ان متابعهم عامل بما يرضى الله والله لا يرضى
الا بالحق لا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم
وساءت مصيرا وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها
عنه كثيرا قال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر
من بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في رأي من
خالفها فمن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى
واصلاه جهنم وساءت مصيرا والشافعي رضي الله عنه لما جرد الكلام
في اصول الفقه احتج بهذه الآية على الاجماع كما كان يسمع هو وغيره
من مالك ذكر ذلك عن عمر بن عبد العزيز والآية دلت على ان متبع
غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد كما ان مشاق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى مستحق للوعيد ومعلوم ان هذا الوصف يوجب
الوعيد بمجرده فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل في ذلك لكان لا فائدة
في ذكره وهنا للناس ثلاثة اقوال قيل اتباع غير سبيل المؤمنين
هو مجرد مخالفة الرسول المذكورة في الآية وقيل بل مخالفة الرسول
مستقلة بالذم فكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل اتباع

انهم لا يقولون عليه الا الحق
ولذلك الامة لا تشهد على
الله الا بحق ح

غير سبيل المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الاية لكن هذا لا يقتضي
مفارقة الاول بل قد يكون مستحقا لما له فكل متابع غير سبيل المؤ
منين هو في نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول
متبع غير سبيل المؤمنين وهذا كما في طاعة الله والرسول فان
طاعة الله واجبة وطاعة الرسول واجبة وكل واحد من معصية
الله ومعصية الرسول موجب للذم وهما متلازمان فانه من
يطع الرسول فقد اطاع الله وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن اطاع اميري
فقد اطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصا اميري فقد عصاني
وقال انما الطاعة في المعروف يعني اذا امر امير المؤمنين بالمعروف
من طاعتي وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فان الرسول يامر
بما امر الله به بل من اطاع رسولا واحدا فقد اطاع جميع الرسل ومن
امن بواحد منهم فقد امن بالجميع ومن عصا واحدا منهم فقد عصى
الجميع ومن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع لان كل رسول يصدق
الاخر ويقول انه رسول صادق ويامر بطاعته فمن كذب رسولا فقد كذب
الذي صدقه ومن عصاه فقد عصا من امر بطاعته ولهذا كان دين الانبيا
واحدا كما في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان
اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا
الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب

بما

بما لديهم فرحون ودين الاسلام بعثنا كلهم للاسلام كما اخبر الله بذلك في غير
موضع وهذا الاسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما
امر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذاك واستقبا
بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما امر باستقبال الكعبة
صار استقبالها من دين الاسلام وليس في استقبال الصخرة من دين الاسلام
ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق
رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل او منسوخ وهكذا كل مبتدع دينا
خالف به سنة الرسول ليس بمتبع الا دينا مبدلا منسوخا فكل ما خالف ما جاء به
الرسول اما ان يكون ذلك كان مشروعا لنبي ثم نسخ على لسان محمد قدم
واما ان لا يكون شرع قط فهذا كالاديان التي شرعها الشياطين على السنة
اوليائهم قال تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله وقال
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون
وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
ولهذا كان الصحابة اذا قال احدهم برايه شيا يقول ان كان صوابا
فمن الله وان كان خطأ فمن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال فمني حم
ذلك بن مسعود وروي عن ابي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة اما ان يكون
هذا القول موافقا لقول الرسول او لا يكون واما ان يكون موافقا
لشرع غيره واما ان لا يكون فهذا الثالث المبدل كاديان المشركين
والمجوس وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت
وتحريم كل ذي ظفر وشحم الثرب والكليتين فان اتخاذ السبت عيدا وتحريم
هذه الطيبات قد كان شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان
حراما في شرع موسى واما محمد وذكر فقال الله فيه الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر

ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال
كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط
كما قال واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وكذلك ما كان يحرمه اهل الجاهلية
مما ذكره الله في القرآن كالسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك هو
من الدين المبدل ولهذا لما ذكر الله ذلك عنهم في سورة الانعام بين
ان من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ما حرمه على لسان
محمد وعلى لسان موسى في الانعام فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على
طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس
او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور
رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك
جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل فبين ان ما حرمه المشركون
لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذان هما اللذان
جاءا بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما اتبعه وقال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة
وقال تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قوله وهذا كتاب
انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه وقالت الجن لما سمعوا
القرآن انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يهدي الى الحق وفي طريق مستقيم وقال ورقة بن نوفل ان هذا
والذي جاء موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشي
فالقرآن والتوراة هما كتابا جاءا من عند الله لم يات من عند الله كتاب

اهدى

اهدى منهما كلا منهما اصل مستقل والذي فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن
اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته وحده لا شريك له ففيه التوحيد
قولا وعملا كما في سورة الاخلاص قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
واما الزبور فان داود لم يات بغير شريعة التوراة وانما في الزبور ثناء على الله وذكر
وامر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقا واما المسيح فانه قال ولاحل لكم بعض
الذي حرم عليكم فاحل لهم المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا
لم يكن يدل من اتبع المسيح من ان يقرا التوراة ويتبع ما فيها اذ كان لا يحتاج بما لها
واما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج اصحابه الى كتاب اخر بل اشتمل على جميع
ما في الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب فلهذا كان مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يقر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ
ما نسخه الله فيقر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم
يكن فيها والقليل الذي نسخ منها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم
المقرر والانبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سايرهم
وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سايرهم وكذلك التكذيب والمعصية لا
يجوز ان يكذب نبي نبيا بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ما انزل الله
مطلقا وهو يامر بطاعة من امر الله بطاعته ولهذا كان من صدق محمدا فقد
صدق كل نبي ومن اطاعه فقد اطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه
فقد عصا كل نبي قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وقال تعالى افتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا
ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ومن كذب
هودا نكذيبا بجنس الرسالة فقد صرح بانه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل قبل نوح احد وقال تعالى وقوم نوح لما
كذبوا الرسل اغرقناهم وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا

والنفاق

والنفاق يتبعض ويزيد وينقص كما ان الايمان يتبعض ويزيد وينقص قال الله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر وقال واما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون وقال وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقال وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا وكثير من المصنفين في الكلام لا يدرون على اهل الكتاب الا ما يقولون انه يعلم بالعقل مثل تنكيت النصاري ومثل تكذيب محمد لا يناظرونهم في غير هذا من اصول الدين وهذا تقصير منهم مخالفة لطريقة القرآن فان الله يبين في القرآن ما خالفوا به الانبياء ويذمهم على ذلك والقرآن معلوم من ذلك اذ كان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة والنبوة فاذا تبين ما خالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم واولئك المتكلمون لما اصلوا لهم دينا بما احدثوه من الكلام الذي لا يستدل به لا بالاعراض على حدوث الاجسام ظنوا ان هذا هو اصل اصول الدين ولو كان ما قالوه حقا لكان ذلك من الدين حقا فكيف اذا كان باطلا وقد ذكرت في الرد على النصاري من مخالفتهم للانبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر ولهذا قيل فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح خطابهم في مقامين احدهما تبديلهم لدين المسيح والثاني تكذيبهم لمحمد واليهود خطابهم في تكذيب من بعد موسى الى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ثم قال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق

فقليلا ما يؤمنون

جزاء

فهولاء

ما تقدم من النفاق

والنفاق

فهولاء

بعض

بعض

ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وذكر انهم اعرضوا عن كتاب الله مصدق لما معهم ونبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الى قوله ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون والنصارى تذم على الغلو والشرك الذي ابتدعوه وعلى تكذيب الرسول والرهبانية التي ابتدعوها ومدحهم عليها اذا كانوا قد ابتدعوها وكل بدعة ضلالة لكن هم اذا كان صاحبها قاصد الحق فقد يعفى عنه فيثبت له على عمله ضايعا لا فايدة فيه وهذا هو الضلال الذي يعذر صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب ولهذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فان المغضوب عليه يعاقب بنوع الغضب والضال فاته المقصود وهو الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب ذلك بل يكون ملعونا مطرودا ولهذا في حديث زيد بن عمرو بن نفيل انه لما قالوا له لن تدخل في ديننا حتى تاخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له النصارى حتى تاخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة ان جهنم طبقات فالعليا لعصاة هذه الامة والتي تليها للنصارى والتي تليها لليهود فجعلوا اليهود تحت النصارى والقرآن قد شهد بان المشركين واليهود اشد عداوة للذين امنوا من الذين قالوا انا نصارى وشدة العداوة زيادة في الكفر فاليهود اقوى كفرا من النصارى وان كان النصاري اجهل واضل لكن اولئك يتوافقون على علمهم اذا كانوا عرفوا الحق وتركوه عنادا او هوى بالضلال حرموا اجر المهتدين ولعنوا وطردوا عما يستحقه المهتدون فاذا اقامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد

كما عوقبوا هم

فكانوا مغضوبا عليهم هم

ونش

وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يقل عن الحق من قصده الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب وقد يفعل بعض ما امر به فيكون له اجر على اجتهاده وخطاه الذي ضل فيه عن حقيقة الامر معفورا له وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا انه بدعة اما الاحاديث ضعيفة فلم يعلموا صحيحة واما الايات فهموا منها ما لم يرد منها واما لرأي رأوه وفي المسئلة نصوص لم تبلغهم واذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا وفي الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذا له موضع اخر والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وان الاجماع اجماع الامة حق فانها لا تجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق يوافق الكتاب والسنة والادلة المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا

الناس من يقول انها لا تدل على مورد النزاع فان الذم فيها لمن جمع الامرين وهذا لا نزاع فيه اولمن اتبع غير سبيل المومنين التي بها كانوا مومنين وهي متابعة الرسول وهذا لا نزاع فيه او ان سبيل المومنين هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لا نزاع فيه فهذا ونحوه لا يدل على محل النزاع واخرون يقولون بل يدل على وجوب اتباع المومنين مطلقا وتكلفوا لذلك ما تكلفوه كما قد عرف كلامهم ولم يجيبوا عن اسيولة او ليك باجوبة شافية والقول الثالث الوسط انها تدل على وجوب اتباع سبيل المومنين وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ما تبين له الهدى وهو يدل على ذم هذا وهذا كما تقدم لكن لا ينفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول وحينئذ يقول الذم اما ان يكون لاجل المشاقة الرسول فقط او لاتباع غير سبيلهم فقط او ان يكون الذم لا يلحق بواحد

مطلب فيمن اجتهد فقصد الحق واخطأ فهو معفو له

قول من يقول هم

كل من هم

منهما بانفرادهما اذا اجتمعا ويلحق الذم بكل منهما وان انفرد عن الاخر او بكل منهما لكونه مستلزما للاخر والاول باطل لانه لو كان المرتب احدهما فقط كان ذكر الاخر ضايعا لا فايدة فيه وكون الذم لا يلحق بواحد منهما اذا انفرد باطل قطعا فان مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عن من اتبعه ولحوق الذم بكل منهما وان انفرد عن الاخر لا يدل عليه الا به فان الوعيد فيها انما هو على المجموع بقي القسم الاخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لانه مستلزم للاخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول ومخالفة القران والاسلام فيقال من خالف القران او الاسلام او من خرج عن القران والاسلام فهو من اهل النار ومثله قوله ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان الكفر بكل من هذه الاصول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله فقد كفر بالجميع ومن كفر بالملايكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ كذب رسله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الاخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا وكذلك قوله يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهى عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون فانه من لبس الحق بالباطل فغلط به فقد لزم ان يكتم الحق الذي تبين ان هذا باطل اذ لو بينه زال الباطل الذي لبس به الحق فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المومنين من شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه ايضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على انه وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا والاية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاقة الرسول قلنا لا نهما متلازمان وذلك لان كل ما اجمع عليه المسلمون فانه يكون منصوصا عن الرسول

فالمخالف

فالمخالف لهم مخالف للرسول كما ان المخالف للرسول مخالف لله ولكن هذا يقتضي ان كل ما اجمع عليه قد بينه الرسول وهذا هو الصواب فلا يوجد قط مسئلة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما انه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال المضروبة في القران وكذلك الاجماع دليل اخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق مع تلازمهما فان ما دل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القران فعن الرسول اخذ فالكتاب والسنة كلاهما ماخوذ عنه ولا يوجد مسئلة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص وقد كان بعض الناس يذكر مسايل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لا سيما قريش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان اصحاب الاموال يدفعونها الى العمال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة والعير التي كان فيها ابو سفيان كان اكثرها مضاربة مع ابي سفيان وغيره فلما جا الاسلام اقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراره فلما اقرها كانت ثابتة بالسنة والاثر المشهور فيها عن عمر الذي رواه مالك في الموطا ويعتمد عليه الفقها لما ارسل ابو موسى بمال اقرضه لابنته واتجر فيها وربحا وطلب عمر ان ياخذ الربح كله للمسلمين لكون خصهما بذلك دون ساير الجيش فقال له احدهما لو خسر المال كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجعله مضاربة فجعله مضاربة وانما قال ذلك لان المضاربة كانت معروفة بينهم والعهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفة بينهم على عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والحزازة وعلى هذا فالمسايل المجمع عليها قد تكون طايفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الراي الموافق

فليراجع صوابه لابنيه

للنص لكن كان النص عندغيرهم وابن جرير وطايفة يقولون لا ينعقد
الاجماع الا عن نص نقلوا عن الرسول مع قولهم بصحة القياس ولحن لا
نشترط ان يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما نقل الاخبار لكن استقر
موارد الاجماع فوجدنا كلها منصوصة وكثير من العلما لم يعلم النص وقد
وافق بعضهم انه قد يحتج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع
وكما يكون في المسالة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال
ابن مسعود وغيره بقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وقال
ابن مسعود سورة النسا القصرى نزلت بعد الطولى اي بعد البقرة وقولا
اجلهن ان يضعن حملهن يقتضي تحديد الاجل في ذلك فلو اوجب عليها ان
تعتد بابعد الاجلين لم يكن اجلها ان تضع حملها وعلي وابن عباس وغيرهما
ادخلوها في عموم الايتين وجا النص الخاص في قصة سبيعة الاسلمية
بما يوافق قول ابن مسعود وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها
هل لها مهر المثل افتى ابن مسعود فيها برايه ان لها مهر المثل ثم روى اخذ بنت
بروع بنت واشق بما يوافق ذلك وقد خالفه علي وزيد وغيرهما
فقالوا لا مهر لها فثبت ان بعض المجتهدين قد يفتي بعموم او قياس
ويكون في الحادثة نص خاص لم يعلمه فيوافقه ولا يعلم مسئلة واحدة
اتفقوا على انه لا نص فيها بل عامة ما تنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيه
بالنصوص اوليك يحتج بنص كالمتوفى عنها الحامل هو لا احتجوا
بشمول الايتين لها والاخرين قالوا انما يدخل في ايه الحمل فقط
وان ايه الشهور في غير الحامل كما ان ايه القرو في غير حامل
وكذلك لما تنازعوا في الحامل احتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم ما
احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم قد
فرض الله لكم تحلة ايمانكم وكذلك لما تنازعوا في البتوتة هل
لها نفقة او سكنى احتج هو لا بحديث فاطمة وبان السكنى
وبالتي في القران للرجعية واوليك قالوا بل هي لها ودلالات هـ

النصوص

انحصار ع

النصوص قد تكون خفية فخص الله بفهمها بعض الناس كما قال علي
الا ان يؤتيه الله عبدا في كتابه وقد يكون النص بينا ويذهل
المجتهد عنه كنهي الجنب فانه بين في القران في ايتين ولما احتج ابو موسى
على ابن مسعود بذلك قال الحاضر ما دري عبد الله ما يقول الا انه
قال لو رخصنا لهم في هذا لاوشك احدهم اذا وجد البرد ان
ان يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة بنت قيس وجابر ان المطلقة
في القران هي الرجعية بدليل قوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا واي امر يحدثه بعد الثلاثة وقد احتج طايفة على وجوب
العمرة بقوله واتموا الحج والعمرة لله واحتج بهذه الاية من منع
الفسخ واخرون يقولون انما امر بالاتمام فقط وكذلك امر الشارع
ان يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة الى غير حج فلم يتمها اما
اذا فسخها ليحج من عامه فهذا قد اتى بما تم مما شرع فيه فانه شرع
في حج مجرد فاتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتماما لما امر به النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه عام حجة الوداع وتنازعوا في الذي بيده
عقدة النكاح هو في قوله او لامستم النسا ونحو ذلك مما هذا موضع
استقصايه واما مسئلة مجردة اتفقوا على انه لا يستدل فيها بنص
جلي ولا خفي فهذا ما اعرفه والحمد لله كما قال اكثرهم اذا استدلوا
على ذلك بالقران بقوله كما اخرج ابويكم من الجنة وقال ابن عباس لو
كانت الحين تظن ان الانس تسمي ابا الاب جدا لما قالت وانه تعالى
جد ربنا نقول انما هو اب لكن اب ابعد من اب وقد روي
عن علي وزيد انهما احتجا بقياس فمن ادعا اجماعهم على ترك العمل
بالراي والقياس مطلق فقد غلط ومن ادعى ان من المسايل ما لم
يتكلم فيها احد الا بالراي والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم
بحسب ما عنده من العلم فمن راى دلالة الكتاب ذكرها ومن راى
دلالة الميزان ذكرها والدلايل الصحيحة لا تتناقض لكن قد يخفى وجه

اتفاقهما اوضعف احدهما على بعض العلماء وللصحابة فهم في القران
يخفى على اكثر المتاخرين كما ان لهم معرفة باموز السنة واحوال الرسول
ولا يعرفها اكثر المتاخرين فانهم شهدوا التنزيل وعاينوا الرسول من اقواله
وافعاله واحواله ما يستدلون به على مرادهم مما لم يعرفه
اكثر المتاخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم بما اعتقدوه
من اجماع او قياس ومن قال من المتاخرين ان الاجماع مستند
معظم الشريعة فقد اخبر عن حاله فانه لنقص معرفته بالكتاب
والسنة احتاج لذلك وهذا كقولهم ان اكثر الحوادث يحتاج فيها
الى القياس لعدم النصوص عليها فانما هذا اقول من لا معرفة له
بالكتاب والسنة ودلالتهما على الاحكام وقد قال الامام احمد
رضي الله عنه انه ما من مسئلة الا وقد تكلم فيها الصحابة
او في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع
اجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم
بالراي في مسايل قليلة والاجماع فلم يكن يحتج ببدعاتهم ولا يحتاجون
اليه اذ هم اهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب
عمر الى شريح اقض بما في كتاب الله فان لم تجد فبما في سنة رسول الله
فان لم تجد فبما به قضى الصالحون قبلك وفي رواية فبما اجمع
عليه الناس وعمر قدم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ما قال
عمر قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتي
به في الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة ابي بكر وعمر لقوله اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وهذه الاثار ثابتة عن عمر
وابن مسعود وابن عباس وهم من اشهر الصحابة بالفتيا والقضا
وهذا هو الصواب ولكن طايفة من المتاخرين قالوا يبدا المجتهد
بنظر اولا في الاجماع فان وجده لم يلتفت الى غيره وان وجد
نصا خالفه اعتقد انه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم الاجماع

نسخه والصواب طريقة السلف وذلك لان الاجماع اذا خالفه
نص فلا بد ان يكون مع الاجماع نص معروف به ان ذاك منسوخ
فاما ان يكون النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المنسوخ
فهذا لا يوجد قط وهو نسبة الى الامة الى حفظ ما نهيت عن
اتباعه واضاعة ما امرت باتباعه وهي معصومة عن ذلك
ومعرفة الاجماع قد تتعذر كثيرا او غالبا فمن الذي يحيط باقوال
المجتهدين بخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا
يفتون بالكتاب او لا بالسنة لا تنسخ الكتاب فلا يكون في
القران شيء منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القران
ناسخ فلا يقدم غير القران عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة
ولا يكون في السنة شيء منسوخ الا والسنة ناسخة لا ينسخ السنة
اجماع ولا غيره ولا يعارض السنة باجماع واكثر الفاظ الاثار فان لم
يجد فالطالب قد لا يجد مطلوبه في السنة مع انه فيها وكذلك في
القران فيجوز له اذا لم يجده في القران ان يطلبه في السنة واذا كان
في السنة لم يكن ما في السنة معارضا لما في القران وكذلك الاجماع
الصحيح لا يعارض كتابا ولا سنة ثم بحمد الله وعونه وصلواته
على خير بريته محمد واله ووافق الفراغ من كتابته
هذه النسخة الشريفة نهار الاحد حادي
وعشرين من شهر الله المحرم الذي هو
اول من شهور سنة الف ومايتين
وتسعة من الهجرة
النبوية على صاحبها
افضل الصلاة
والسلام والمجد
لله رب
العالمين